فى تشيكوسلوفاكيا

شعب يكافح !

obeikandl.com

فى الطريق

لم تستغرق الطائرة خمس ساعات لتصل بنا إلى أثينا مدينة التاريخ . . وفى تلك الساعات الخمس ودعنا الدلتا الجميلة الخضراء وطفنا البحر الأبيض المتوسط. وعبرنا جزيرة كريت لتهبط بنا بكل هدوء فى مطار أثينا . .

وكان رجل البوليس اليونانى فظا يبدو من مخلفات الحرب الخشنة فلم يسمح لنا بالنزول إلى أرض المطار إلا بعد تحقيق طويل مع قائد الطائرة . . وفيه تناولنا الغداء على عجل لتعود الطائرة وتحلق بنا فى طريقها الى روما مدينة الخالدين . . !

ووصلنا روما قبيل الساعة السادسة فما أطلت رؤوسنا إلا واستقبلنا المطر الغزير المنهمر. واستقبلنا أيضا هذا الطابع الانجليزى الذى يسود المطار الحربى ويظهر على كل اللافتات والتعليمات واشارات المرور. وهكذا غابت عنا الحروف الايطالية فى عاصمة الايطاليين . . !

المغلوب والمنتصر

شتان بين آثار الحرب فى المغلوب وآثارها فى المنتصر . . ! نعم ـ شتان ـ فقد انعكس الأمر وأصبح المغلوب منتصرا والمنتصر مغلوبا على أمره . .

إن اليونان التى اعتبرت احدى أوائل الدول التى انتصرت فى الحرب انما تعانى اليوم من آلام هذا الانتصار لونا عجيبا من شقاء الحياة لا تعانيه أية دولة أخرى . لقد تدهورت نقودها، وجاع أهلها، وتمزق شملها، ولم يعد يعرف ـ إلا الله ـ مستقبلها . !

كان الطعام الذى تناولناه فى مطار أثينا لا يزيد عن حساء لا دسم فيه وطبق واحد تناثرت فيه بعض قطع صغيره من اللحم وإلى جانبها الضئيل من الخضروات والحلوى . . من فاكهة ـ الكريز ـ ودفعنا للفتاة التى قدمته لنا خمسة آلاف دراخمة (بقشيشا) لها . . !

أما ايطاليا .. أرملة الدوتشى. الدولة التى هزمت فى هذه الحرب شر هزيمة ،فان زائرها ليدهش مما يعمها من خيرات ،ومن ازدحام أسواقها بالحاجيات والمشتروات ومن زوال كل أثر لجفاف الحرب وكل ذكرى للهزيمة . .

حـــديث . . !

وفى المطار التقيت بضابط سابق بالجيش الايطالى يشغل عملامدنيا به وقلت له :

ـ يدهشنى أن أرى هذه اللافتات الكثيرة مكتوبة بالانجليزية حتى اسم المدينة نفسه « روما » ! !

فنظر الى الرجل فى شىء غير قليل من الشك والريبة وتردد طويلا حتى أبرز له جواز سفرى لأطمئنه أننى ابن دولة تعارك الانجليز من ثلاثة وستين عاما . ! فقال :

ـ إن علينا أن نتحمل ذل الهزيمة كما تمتعنا بثمار النصر . . !

ثم عاد يقول :

ـ ولكن ياسنيور . . لقد كان النصر قصيرا هزيلا . . حقا انه جاء سريعا ولكنه ذهب بأسرع مما جاء . . !

وأشر على جواز سفرى ثم وقف يقدمه لى وهو يقول :

ـ على كل حال لقد كنا ومصر دائما أصدقاء ، وأنا شخصيا لى أقارب يعيشون فى الاسكندرية حتى اليوم ، وكل مانرجوه جميعا أن تنسى مصر أننا حاربناها فى يوم ما وأننا حاولنا أن نخترق حدودها . .

وأجبته وأنا أرد له تحيته :

ـ ان مصر قد تنسى فعلا ولكنها ستتعلم كيف تحترس دائما . . !

فوق جبال الألب . . .

وعدنا المطار فى الصباح المبكر. وكان علينا أن نستقل الطائرة فى منتصف الساعة التاسعة . . واقترب الموعد المحدد ونحن ننتظر والطائرة تنتظر معنا أيضا . . . وأخذنا نتساءل عن السر ، فقمت أحاول أن أكتشف سبب هذا التأخير فرأيت ضابطا انجليزيا من أصحاب الرتب الكبيرة وهو يقف بجوار طائرة حربية تنتظر وقد استعدت

محركاتها للطيران. وإلى جانب الضابط حسناء أمريكية ممن يعملن على خطوط الطيران.

واتضح أن طائرتنا لا يمكن أن تسافر إلا بعد أن تتحرك للسفر هذه الطائرة الحربية . . لأن الناس مقامات حتى فى الطائرات . . ! واتضح كذلك أن الضابط لا يقوى على فراق الحسناء الأمريكية فهو يبدو مولعا بها هائما فى جمال عينيها لا يهمه أن تتعطل روما بأسرها عن السفر . . ويظهر أنه كان يتفق معها على موعد فى مكان ما من الكرة الأرضية . .

وأخيرا أخذنا أنفاسنا حينما مد الضابط ذراعيه وأخذ الحسناء فى عناق الوداع فقد عرفنا انه لن يستغرق أكثر من دقيقة . . ولكن العناق يطول والقبلة تطول . ورجال المطار يرقبون المنظر فى سكون وانتظار يشاركهم فى الانتظار ضباط أركان الحرب . . ونحن . . !

ولما انتهى العناق صعد الضابط الى طائرته فتحركت فى الحال وتحركت على أثرها طائرتنا فتقدمت الى ناحيتنا ، وعادت الأمريكية وحدها وهى تبتسم ويعلو صفيرها فى مرح . . !

وشغلنا بمرآها عن الطائرة التى تأخرت عن موعدها ، وليس بوسعى أن أصف حسنها ورونقها ولكن أقول فى كلمة مختصرة أن الضابط أثبت أنه معذور ومائة مرة معذور . . فان الفتاة كانت تبدو كمن تحمل سحر هاروت وماروت فى عينيها . . !

وحلقنا فوق ايطاليا . . ورأينا المدن الهادئة النائمة ، ثم ما لبثنا أن رأينا فينسيا الجميلة بشوارعها المائية . . وتذكرنا الجندول وتذكرنا معه الشاعر على محمود طه والحنجرة الحنون للفنان عبد الوهاب . . !

وارتفعت بنا الطائرة بعد ذلك وحلقت فوق جبال الألب الشامخة العالية والقمم البيضاء تبرز وسطها وتشرف عليها والقرى الصغيرة تنام فى أحضانها وادعة مطمئنة .

انه لمنظر رائع . . ولا أظن أنى رأيت فى حياتى أروع أو أجمل منه . . وإذا كان تنفسنا فى هذه المرحلة قد اضطرب قليلا إلا أننا نسينا هذا الاضطراب بجانب جمال المنظر . . !

الى تشيكوسلوفاكيا

ولنترك روما لنعود اليها فى الجزء الأخير من رحلتنا حيث نستقل منها الطائرة إلى مصر فى طريق عودتنا لأرض الوطن .

لنترك روما لأننا لم نقض بها أكثر من ١٢ ساعة كانت كافية لأن نشعر بأننا بين شعب يشعر بمرارة الهزيمة والخيبة ويحتملها صاغراً لأن عليه أن يحتملها .

لنترك روما إلى براغ ، عاصمة تشيكوسلوفاكيا ، هذه البلاد التى تنافس مصر الآن فى دعوة المؤتمرات الدولية إلى الانعقاد فى أرضها ، حتى أن المستر كينيون رئيس اتحاد الصحافة الدولى قال فى خطاب الافتتاح الذى القاه بالمؤتمر : أن المؤتمرات تعقد فى براغ بمعدل مؤتمران فى كل أسبوع ! !

وفى الحق أنه فى الأسبوع الذى عقد فيه مؤتمر اتحاد الصحافة الدولى(١) عقد أيضاً مؤتمر اتحاد نقابات العمال وقد تبادل المؤتمران التحية إذ بدأ مؤتمر الصحافة بقرار وافق فيه على ارساله تحية إلى مؤتمر اتحاد النقابات ، فرد عليه اتحاد النقابات تحيته بأحسن منها إذ أرسل اليه بنائب رئيسه المسيو جوهو ليلقى خطابا يزجى فيه الشكر للصحفيين ويقول فيه أن الحقيقة والحرية تسيران جنباً إلى جنب فلا حقيقة بدون حرية ولا حرية بدون حقيقة !

رخاء نسبى

وهذه البلاد تشيكوسلوفاكيا تعيش فى رخاء نسبى اذا قورنت بما حولها من الدول الأخرى .

ولكن حتى مع هذا الرخاء رأيت الذين يسيرون حفاة الأقدام . بل رأيت أشخاصا محترمين فى ملابس نظيفة يقف الواحد منهم أمام المشرب ثم ينحنى إلى الأرض ليلتقط « عقبا » من أعقاب السجائر ألقاه أحد الجالسين !

---

(١) من ٣ — ١٠ يونيو سنة ١٩٤٧

ومع هذا فهى بلاد فتية كلها نشاط والناس فيها جميعاً يعملون لأن كل واحد يعلم أنه يجب أن يعمل لكى يعيش والنساء فيها يقمن بجميع أعمال الرجال .

شعب يكافح

لا أعرف ماذا أقول عن هذا الشعب النشيط . شعب تشيكوسلوفاكيا . بعد أن انتهت زيارتنا الرسمية لبلاده وسافرنا الى تلك المدينة الهادئة الوادعة التى يطلقون عليها هناك اسم « كارلو فيفارى » . . . ونطلق عليها فى مصر كارلسباد !

نعم لا أعرف فى الحق ماذا أقول فان النشاط الذى يعمل به الشعب على إعادة مجد بلاده لهو نشاط يستحق الاعجاب . . والكل يعرف هناك أن الوسيلة الوحيدة لذلك هى « العمل » . . . و « العمل » وحده . . ولذلك انكب عليه الجميع من رجال ونساء فلم يبق متعطل واحد ، ولا يمكن أن تشاهد متسولا واحداً فى الطريق

أزمة سكان

على أن هذه البلاد تشكو قلة عدد السكان إذ أنها سارعت بمجرد انتهاء الحرب الى طرد الألمان الذين كان هتلر قد نقلهم من ألمانيا للاقامة فى اقليم السوديت بعد احتلاله فى عام ١٩٣٩

سارعت تشيكوسلوفاكيا ، أو أنها تسرعت فى طرد هؤلاء الألمان من السوديت وإعادتهم إلى بلادهم دون أن تفكر فيمن يحل محلهم . ولم تكتف بنقلهم وحدهم إلى المانيا بل أنها طردت إلى جانبهم عدداً كبيراً جداً من الألمان الذين كان قد مضى على استيطانهم البلاد وقت طويل

وقد أحدث طرد الألمان من تشيكوسلوفاكيا فراغاً كبيراً لا تعرف الحكومة اليوم كيف تسده . وقد أغلقت آلاف المنازل فى الاقاليم التى طردوا منها وأخذت تبحث عمن يحل محل أصحابها ولكن دون جدوى

ويل للمغلوب!

ويشعر شعب تشيكوسلوفاكيا جيداً بالفراغ الذى تركه الألمـــان بعد طردهم من البلاد ، وهم يحسون جيداً ان ألمانيا لابد أن تنتقم منهم فى يوم من الأيام ، وان انتقامها قد لا يكون انتقاما حربياً . . وإنما قد يكون اقتصادياً بحيث يقتل صناعاتهم ولكنهم مع كل ذلك لا يبالون . . بل قد بلغ من تعصبهم ضد الألمان انهم نسوا أو تناسوا اللغة الألمانية التى كانت من اللغات الرسمية التى يتحدثون بها ، وقد تسأل أحدهم فى الطريق سؤالا باللغة الألمانية فيعتذر عن الاجابة بحجة أنه لا يفهم الألمانية بل أكثر من هذا : رأيت فى الطريق الى (كارلو فيفارى) تلك اللافتات التى يضعونها على بعض عربات القطار ويكتبون فيها (ممنوع التدخين) فاذا بها قد كتبت بلغات ثلاثة : التشكية والانجليزية والايطالية . فلما تمعنت فيها وجدت أن العبارة مكتوبة فى المقام الأول بلغة رابعة ولكنهم محوها بطلاء أبيض بحيث لاتظهر إلا لمن يدقق النظر . . ودفعنى فضولى الى أن أعرف تلك اللغة التى محوها فمسحتها بآلة حادة حتى ظهرت فاذا هى اللغة الألمانية !

هذه بلاد كانت الدول الكبرى كلها قد سلمت قبل قيام الحرب فى عام ١٩٣٩ بأنها لالمانيا وضحت بها فى سبيل السلام وهاهى اليوم تطرد الألمان وتنكر عليهم حق العيش بها بل وتحاول أن تمحو لغتهم بجميع الوسائل

لا فقـــر

يظن الكثير فى مصر أن أوربا جائعة وأنها لا تجد القوت الضرورى ، وقد ينطبق هذا الكلام - إذا صح - على ألمانيا فقط . . أما فى تشيكوسلوفاكيا فمظاهر الرخاء بل أقصد الرخاء نفسه فى كل مكان . . سواء فى العاصمة أو فى الريف . .

حملنا معنا من مصر قطع الصابون والسكر والشيكولاته والبن وعلب السجاير فاذا بنا نفاجأ هناك بمجرد وصولنا بهدايا تبعث الينا فى حجراتنا بالفندق وإذا من بينها قطع الصابون والسكر المصنوع فى تلك البلاد ! وعندما تجولنا فى الطرقات

وجدنا واجهات المحال ملأى بالحلوى والشكولاته والشاى والبن !

والسجاير كثيرة ولكنها من نوع ردىء ـ شأنها شأن السجاير فى باقى دول أوربا . . وكثيرا ما كان بعض المارة المحترمين يمرون علينا ونحن جلوس فى شرفة فندق امبسادور ببراغ فيقف الواحد منهم ويمد يده ـ دون استئذان ـ إلى (طقطوقة) السجاير يجمع منها أعقاب السجاير الأمريكية والمصرية التى كنا ندخنها ، والتى حملناها معنا من مصر . .

وعندما أعربت لصديق فلسطينى قدم أخيراً من ألمانيا عن دهشتى ضحك طويلا وقال لى :

ـ إذاً ماذا تقول لو رأيت مايحدث فى ألمانيا ! هناك يقف جمع كبير من «المحترمين» أمام جندى أو ضابط أمريكى يدخن سيجارة وكلهم ينتظر حتى ينتهى من تدخينها ، فاذا انتهى وألقى بها على الأرض انقضوا جميعا على العقب وكل يحاول أن يفوز به وكثيراً ما تحدث بسبب هذا معارك ومشاجرات يتدخل البوليس فيها لفضها . . !

وقال لى أحد التشيكوسلوفاك أنه بلغ من ندرة السجاير عندهم مدة الحرب أنهم دخنوا أوراق أشجار لا تمت الى التبغ بأية صلة !

على الطريقة الامريكية

ويشاهد الأمريكيون فى تشيكوسلوفاكيا بكثرة وهم يدخلونها من منطقة الاحتلال الألمانية ، وكانت لى معكثيرمنهم أحاديث طويلة عن ألمانيا سأضمها الى الجزء الخاص بألمانيا المحتلة

والأمريكى الذى يسافر إلى براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا ، أوكارلو فيفارى بقصد تمضية عطلة نهاية الأسبوع وهو لا ينسى ـ بغريزته التجارية ـ أن يستصحب معه عدداً من الدولارات وعدداً آخر من علب السجاير الأمريكية المشهورة مثل (لاكى ستريك) أو (كامل)

وقد نشأ عن هذا وجود سوق سوداء للدولار إذ هو مطلوب بكثرة فى تلك البلاد . شأنها شأن البلاد الأخرى تماما . كما أن علبة السجاير الواحدة من السجاير الأمريكية تباع بأكثر من ٨٠ كرونا (أى ٤٠ قرشا بالعملة المصرية) فاذا عرفت أن الأمريكى ـ من رجال الجيش ـ يشترى هذه العلبة بمالا يزيد عن قرشين أمكنك أن تعرف أن الامريكيين لا يسافرون الى هناك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فحسب وانما هم يخرجون من البلاد ـ بعد انتهاء أجازاتهم ـ بمغانم لا بأس بها !

وبهذه المناسبة !

كنت أتحدث إلى زوجة أحد اعضاء الوفد الانجليزى فى مؤتمر الصحافة فذكرت لى ان انجلترا تبيع السيارات التى تخرجها مصانعها للخارج ولا يمكن لأى انجليزى ان يشترى سيارة إلا بعد انقضاء عامين على تسجيل اسمه . ومن هنا ارتفع سعر السيارات المستعملة ارتفاعا كبيراً.

ثم ذكرت لى: ان الامريكيين الذين يحضرون الى انجلترا لقضاء عطلاتهم اكتشفوا طريقة جميلة لقضاء اجازاتهم « مجانا » بل والخروج من عندنا بأموال بريطانية

قلت : وكيف كان ذلك ؟

أجابت : ان الواحد منهم يدفع ثمن السيارة فى امريكا قبل قدومه الى بلادنا واذا وصل سلمت له السيارة فى الحال . وهو يستعملها طول مدة وجوده بانجلترا فاذا عزم على السفر باع سيارته لأحد الانجليز بدلا من أن يعود بها إلى بلاده . وهو يبيعها غالبا بضعف الثمن الذى اشتراه بها !

وهكذا يخرج من انجلترا بعد ان يكون قد قضى عطلة سعيدة موفقة لم يغرم فيها شيئا . واستعمل فى اثنائها سيارة جديدة لطيفة . وفى جيبه ، علاوة على ذلك ، بضع مئات من الجنيهات .

طبقة واحدة

وقد أعجبنى فى تشيكوسلوفاكيا انها لا تضم غير طبقة واحدة من الناس. طبقة تعمل وتكد وتجهد نفسها لكى تعيش. ان الناس جميعا هناك فى براغ يركبون الترام والترام لا يحوى إلا درجة واحدة مقاعدها خشبية ، والمقاعد قليلة ولذلك يضطر أغلب الركاب الى الوقوف

والذين يسافرون بالقطارات لا يركبون غير الدرجة الثالثة وأى قطار من من القطارات تركبه لا تجد به غير عربات الدرجة الثالثة باستثناء عربة واحـــدة نصفها خصص لركاب الدرجة الثانية والنصف الآخر لركاب الدرجة الأولى

وإذا شاهد الناس سيارة أمريكية جديدة من النوع الفاخر تنتظر صاحبها اجتمعوا حولها يتفرجون عليها وعلى آلاتها

والعامل يتقاضى أجراً مناسباً وكلما تضاعف عمله وانتاجه تضاعف أجره حتى لقد أكد لى أحد المطلعين أن أجر العـــامل يزيد فى بعض المصانع على ما يحصل عليه رئيسه المهندس من مرتب ثابت

* * *

شىء واحد أخذته على أهل هذه البلاد وهو الطريقة التى عاملوا بها الألمان بعد انهيار ألمانيا . ولهذا قصة طويلة .

obeikandi.com

على هامش السياسة

فى الوقت الذى كان يعقد فيه مؤتمر الصحافة العالمى فى براغ كانت هناك ثلاثة مؤتمرات أخرى تعقد جلساتها وقد بدأ بعضها قبل انعقاد مؤتمر الصحافة وبدأ البعض الآخر بعد مؤتمر الصحافة وقبل ذلك عقدت مؤتمرات كثيرة فى براغ كان آخرها مؤتمر الخشب وقد اشتركت فيه مصر كما اشتركت فى غيره ، وأقيمت مباريات البطولة لكثير من الألعاب الرياضية

مدينة المؤتمرات

وهكذا صارت براغ اليوم أشهر مدينة فى أوربا الوسطى ، واحتلت المكانة التى كانت لبرلين وفينا من قبل ، وتعقد بها بانتظام مؤتمرات كثيرة منها مؤتمر الشباب العالمى الذى يشهده آلاف الشبان والشابات من جميع أنحاء العالم ومنها أيضا مؤتمر الموسيقى .

كنت أتحدث إلى أحد رجال السلك السياسى فى براغ وجاء ذكر هذه المؤتمرات والحفلات المتعددة التى تعقد فى العاصمة التشيكوسلوفاكية ، فابتسم الديبلوماسى وقص على أنه كان يقابل المسيو جان مازاريك ، وزير خارجية تشيكوسلوفاكيا منذ أيام ، فقال له وزير الخارجية الذى اشتهر بخفة روحه ومرحه:

ـ لقد قررت أن أدخل المستشفى فى الأسبوع القادم !

وبدا الاهتمام على وجه الديبلوماسى وسأل وزير الخارجية .

ـ ولكن . . . هل سعادتكم مريض ؟

فأجاب وزير الخارجية : ـ كلا ياصديقى ! لست مريضا ولكننى تعبت من مقابلة وفود المؤتمرات ومصالحتهم . . وليست هناك وسيلة أخرى للهرب منهم . غير دخول المستشفى !

اشتراكية فريدة

والواقع ان تشيكوسلوفاكيا تحاول اليوم بكل نشاطها وقوتها أن تقف على قدميها وأن تسترد مكانتها بين الدول بعد ما أصابتها الحرب بنكباتها وويلاتها ، وهى تريد أن تستغل فرصة ركود الصناعة الألمانية فى الوقت الحاضر، بسبب الاحتلال ، لكى تحتل الأسواق التى كانت الصناعة الألمانية لا تجد فيها منافسا . . .

زار الناقد الانجليزى المشهور « هانن سوافر » تشيكوسلوفاكيا منذ شهرين ،ولما عادإلى لندن كتب فى الديلى هيرالد يقول: « إن الطريقة التى حلت بها تشيكوسلوفاكيا مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية جديرة بأن تقلدها انجلترا »

وقال الكاتب المشهور «موريس هنداس» فى كتابه الأخير عن تشيكوسلوفاكيا: أنها أعظم الدول الاشتراكية بعد الاتحاد السوفيتى » !

والاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا اشتراكية ممتازة فريدة فى نوعها حقا فقد روى هنداس فى كتابه كيف قابل جماعة من الشيوعيين التشيكوسلوفاك يجمعون التبرعات لبناء كنيسة كاثوليكية فى براج ! وكيف زار بعض رجال الدين الكاثوليك فى تلك العاصمة فوجدهم يعلقون على جدران منازلهم صورة البابا وإلى جانبها صورة ستالين!

ليست جزءاً من روسيا

ويخطىء من يظن أن تشيكوسلوفاكيا قد أصبحت جزءا من الاتحاد السوفيتى أو أن جنود الاتحاد السوفيتى يحتلون بعض أجزاء منها فقد جلا عنها الروس بعد تحريرها جلاء تاما .

كنت أتحدث فى هذا إلى جامعية تشيكوسلوفاكية وقلت لها مداعبا :

ـ كنا نظن أنكم أصبحتم جمهورية جديدة من جمهوريات الاتحاد السوفيتى أو أن الروس يحتلون بلادكم أو بعض مواقع منها . . على الأقل !

وبدا الغضب على وجه الفتاة وأجابت :

ـ ولكن ما الذى جعلكم تعتقدون هذا يا سيدى !

أجبت ضاحكا : ـ لأن الروس لم يدخلوا مكانا إلا ورفضوا الجلاء عنه !

قالت : ـ قد يكون هذا صحيحا فى حالة الدول التى تعاونت مع المحور ولكننا لم نتعاون معه بل لقد حاربنا فى صفوف الحلفاء !

لوحات .. للذكرى

وفى كل ركن من أركان براغ يرى الزائر لوحات عليها أسماء الذين سقطوا برصاص الألمان فى ذلك الركن عندما ثارت تشيكوسلوفاكيا ضد الاحتلال الالمانى . . وفى كل يوم توضع فى ذلك الركن باقات من الزهر . يضعها أقارب وأصدقاء الضحايا وعندما يمر الناس أمام تلك الأركان يمرون فى خشوع وقد يرفع البعض قبعاتهم احتراما .

روسيا . . الأم الرؤوم . . !

ولكن إذا كانت تشيكوسلوفاكيا لم تصبح جمهورية فى الاتحاد السوفيتى فانها على الأقل دولة موالية قلبا وقالبا . .

إن سكان تشيكوسلوفاكيا لا يمكن أن ينسوا أن الشعب الالمانى الذى يزيد عنهم عددا بأربع أو خمس مرات ، يحيط بهم من أكثر النواحى وانه يتطلع اليهم دائما . ولا يمكن أن ينسوا كذلك كيف ضحت بهم الدول الغربية ـ إذا لم أقل كما يقولون ـ كيف خانتهم فى مؤتمر مونيخ .

ولذلك فانهم لا يشعرون بالأمان إلا وهم فى أحضان روسيا ، الأم الرؤوم فى نظرهم !

ذات العشيقين !

ولكن . . . إذا كانت تشيكوسلوفاكيا تشعر بالأمن السياسى أو الحربى وهى بين أحضان روسيا فانها لا تشعر بالأمن الاقتصادى إلا فى أحضان الغرب فهى من أتباع الكتلة الاسترلينية فى تجارتها واقتصادياتها ولا يزال الجنيه الاسترلينى متفوقا هناك على غيره ـ فيما عدا الدولار ـ من أنواع النقد . .

فالجنيه الانجليزى يطلب بكثرة وهو يصرف فى السوق السوداء بما يزيد على خمسين فى المائة من قيمته الحقيقية التى يصرف بها من المصارف المختلفة .

كنت وزميل فلسطينى عربى اسمه « الشيخ على » نتحدث إلى أستاذة فى جامعة براغ فقال لها الشيخ على بلغة بلادها التى يتقنها .

ـ سيدتى : ما أشبه بلادكم اليوم بالمرأة إذ تتخذ لها عشيقين أولهما الرجل القوى العضلات الذى يعرف كيف يدافع عنها وقت الحاجة . والثانى هو الرجل الثرى المترف الذى ينفق على شراء مجوهراتها وفرائها وملابسها .

وكان الزميل يقصد بالصديق الأول روسيا وبالثانى انجلترا . .

وأسرعت الاستاذة تجيب وقد احمر وجهها خجلا :

ـ سيدى . . . انكم تظلمون المرأة بهذا التشبيه ! !

ولما ترجم لى الشيخ على ما قالت باللغة التشكية التفت اليها وقلت بالفرنسية :

ـ سيدتى ! ربما كان الأمر بالعكس . . وربما كان فى التشبيه ظلم لتشيكوسلوفاكيا فقط . ! !

جسر بين شرقى أوربا وغربيها

والواقع أن تشيكوسلوفاكيا تعتبر جسرا بين الأمم التى تقطن شرقى أوربا والأمم التى تقطن غربيها ولا سيما فيما يتعلق بمشروع مارشال ، ولئن كانت تشيكوسلوفاكيا قد اضطرت ازاء تدخل الكرملين الى ان تكون فى منأى عن برنامج انعاش أوربا فقد كان الأمل رغم ذلك فى ان تلعب التجارة بين البلدان التى تجنى ثمرات مشروع مارشال وبين تشيكوسلوفاكيا دورا هاما فى مضاعفة آثار ذلك البرنامج .

والعلاقات بين روسيا وتشيكوسوفاكيا تعتبر ـ ولو نظريا على الأقل ـ مستندة الى النظرية التى تقوم عليها سياسة روسيا الخارجية وهى ان كل ما تريده روسيا هو أن توطد بينها وبين البلدان المجاورة لها علاقات ودية ضمانا لأمن الاتحاد السوفيتى وسلامته

وكانت تحرص دائما سواء فى علاقاتها الدولية السياسية أو الاقتصادية على أن تظهر المودة والتضامن مع روسيا مثال ذلك أن تشيكوسلوفاكيا كانت تؤيد فى جميع المؤتمرات الدولية وجهة النظر التى تبسطها الحكومة الروسية .

أسرار الصناعة... والسياسة!

نعم ! لقد كان التشيك قصار النظر حقا . اذ ما بدأ انهيار ألمانيا حتى هاجم بعضهم منازل الألمان واعتدوا على النساء ، ومثلوا بالأطفال .. ثم ما لبثوا أن قتلوا الرجال بعد أن عذبوهم حتى لقد قال لى البعض تبريراً لهذه الفظائع انهم كانوا ينتقمون لأنهم كانوا قد قاسوا كثيرا من حكم الألمان

ولكن ليس هذا هو المهم فان مثل هذه الثورة ماتلبث أن تهدأ . . ولكن ما تبع ذلك كان الأهم . فقد طرد التشيك جميع سكان بوهيميا ، وخاصة السوديت ، الذين ينتسبون إلى أصل ألمانى مع أن بعضهم كان قد مضى عليه وعلى آبائه وأجداده فى ذلك الاقليم مئات السنوات وكانت صلته بألمانيا قد انقطعت تماماً . . . بل ان بعض سكان السوديت ، الذين ينتسبون الى أصل المانى والذين طردهم التشيك ، كانوا لا يتكلمون الالمانية . . . ولا يعرفونها !!

وكانت نتيجة ذلك ان سكان تشيكوسلوفاكيا اليوم ينقصون مليوناً على الأقل ليحلوا محل سكان السوديت الذين طردوهم أو قتلوهم . كما أن بعض هؤلاء كانوا من اساطين صناعة الخزف (الصينى) وقد حملوا معهم عند رحيلهم الى موطن آبائهم واجدادهم ـ أى المانيا ـ اسرار صناعتهم كلها . . . لقد أبعدوا من المصانع ولكنهم تركوها عاجزة عن اخراج ما كانوا يخرجون هم منها . . !

أسرار الصناعة

خطر ببالى وأنا أقيم بمدينة « كارلو فيفارى » أن أزور بعض مصانع الخزف « الصينى » وهو من صناعات تشيكوسلوفاكيا المشهورة . .

وصحبت صديقاً من أبناء البلاد وركبنا سيارة فى طريقنا الى المصنع . ولما وصلنا إلى هناك أكرم القوم وفادتنا وقصدنا الى المعرض المقام إلى جانب المصنع.

وما كدت أدخل هذا المعرض حتى بهرتنى دقة الصناعة . وجمال الألوان . وابتكار الأشكال والرسوم وصممت على شراء بعض قطع صغيرة مما يسهل نقله بواسطة الطائرة

وبدأت باختيار بعض أقداح القهوة فاعتذر موظف المصنع بأن هذه الأقداح ليست للبيع . . ولكنها للعرض فقط . ثم وقع اختيارى على طقم صغير من الأطباق فاعتذر الرجل مرة أخرى وذكر أن المصنع لم ينتج بعد العدد الكافى من هذه الأطباق . وتكرر هذا الاعتذار فى كل شىء جميل أو مبتكر وقع عليه نظرى حتى أحسست فى النهاية بأنى لن أشترى شيئاً مما راق فى نظرى . فسألت صديقى التشيكوسلوفاكى عن السر فى ذلك فتحدث هو بدوره باللغة التشيكية الى موظف المصنع الذى كان يرافقنا ثم قال لى بالانجليزية :

— سوف نتحدث فى هذا بعد أن نخرج !

وقصدنا بعد ذلك الى مصنع للبلور (الكريستال) تكرر فيه ما حدث فى المصنع الأول اذ رفض أصحاب المصنع أن يبيعوا أى قطعة من القطع الجميلة المعروضة

ولما عدنا الى كارلو فيفارى أخذ الصديق التشيكوسلوفاكى يشرح لى الموضوع فأخبرنى أن ساسة بلاده كانوا قصار النظر ـ مع الأسف الشديد ـ اذ ما كادت الحرب تنتهى بانهزام ألمانيا حتى هبوا جميعاً فطردوا كل الألمان من بلادهم . . . بل أنهم طردوا كذلك كل تشيكوسلوفاكى ينتسب الى أصل ألمانى دون أن يفكروا فى المستقبل ودون أن يفكروا فيما يمكن أن تجر اليه هذه السياسة . .

ثم قال : وها نحن الآن ياسيدى ! ان بلادنا ينقصها ـ لكى تعمر ـ نحو مليون نسمة . . فمن أين نأتى بهم ؟ ولقد تعطل الكثير من صناعاتنا بسبب هذه السياسة فان المسئولين قد طردوا ـ بين من طردوا ـ أمهر الاخصائيين فى صناعات الصينى والكريستال ـ لا لذنب جنوه الا لانهم من الالمان أو من التشيك الذين ينتسبون لأصل ألمانى . . وقد نتج عن هذا ـ كما رأيت بنفسك ـ أن المصانع الحالية عجزت عن اخراج القطع الجميلة الرائعة التى كان يصنعها العمال الالمان . . وهم لا يزالون الآن فى دور التجربة ، وقد ينجحون . . وقد يفشلون ! »

وسألت محدثى :

ــ ولكن كيف وقع قادتكم وساستكم فى هذا الخطأ . . ألم يقدروا العواقب ؟

فأجاب :

ــ انه الانتقام الأعمى ! وهى سياسة إن دلت على شىء فانما تدل على فظاعة ما قاسينا من الألمان . . ونحن ندفع الآن الثمن !

ولقد عاد هؤلاء الصناع الألمان المهرة إلى بلادهم ، ولا شك أنهم سيحاولون احياء الصناعة فى هناك . . . ولابد أن تحيا فى يوم ما . . الصناعة والبلاد نفسها !

ولكن أغرب من هذا ما سمعته من أن الأمريكيين ـ فى منطقة احتلالهم ـ قد جمعوا عدداً كبيراً من هؤلاء الاخصائيين الالمان فى صناعات الصينى والبللور وغيرهما . . وبعثوا بهم معززين مكرمين الى أمريكا ليكونوا نواة لإنشاء صناعات جديدة هناك . . ما تلبث بعد سنوات قليلة أن تغمر أسواق العالم كما تغمرها بضائع أمريكا الأخرى ! . .

ان صديق التشيكوسلوفاكى ـ شتارك ـ كان يشعر بأسف عميق على طرد هؤلاء الصناع المهرة من بلده . . وكان يصف ساسة بلده بقصر النظر . وإذا لم يكن فى وسعه أن يصارح شخصا غيرى بما يجول فى خاطره من آراء . . فان هذه الآراء نفسها كانت تتردد فى أذهان عدد كبير جداً من أبناء بلده

ولكنها . . . أحكام السياسة !

سياسة حائرة

وتشيكوسلوفاكيا اليوم حائرة فى سياستها فان موقعها الجغرافى الذى يجعل قسمها الشمالى كله أو الغربى على الأصح ، واقعا فى قلب ألمانيا يجعلها دائماً تشعر بالخطر فان عدد سكانها لا يزيد على ١٢ مليونا . ولقد أصبحت اليوم لا تصدق وعود الغرب ولا عهوده بعد ان قدمتها دوله ـ أى الدول الغربية ـ هدية لهتلر أو قربانا للسلام كما قال الساسة وقتئذ .

وإذا كان أهلها اليوم وساستها يحرصون على ارضاء روسيا كذلك لأنهم يعرفون أنها أقرب اليهم من الدول الغربية وأنه من الخير لهم أن يلتمسوا الحماية عندها يوم أن تهددهم المانيا من جديد . إلا أنهم من جهة أخرى يخشون روسيا ولا يريدون أن يتورطوا معها وهم يخافون فى النهاية ان يصير نصيبهم من الاستقلال كنصيب رومانيا أو المجر أو بلغاريا

ولذلك فقد مثلوا الحزب الشيوعى فى الوزارة كما أنهم أسندوا اليه بعض الوزارات الهامة ومنها وزارة الدعاية وما كانوا يريدون الذهاب إلى أبعد من هذا وهم يتمسكون بمبادئهم الاشتراكية الديمقراطية .

هذه سياسة تشيكوسلوفاكيا نحو روسيا وسياستها نحو انجلترا وأمريكا لا تختلف كثيراً عن ذلك فهى حريصة على ارضائهما بسبب حاجتها إلى النقد الخارجى، أو بالأحرى الى الاسترلينى والدولار

الشيوعية تزحف . .

ولكن روسيا لا تقنع بهذا من تشيكوسلوفاكيا ، ولا يكفيها أن يمثل الحزب الشيوعى فى الوزارة ، ولذلك فان أصبعها تمتد فى كل مناسبة لكى تتدخل فيما يهمها من الأمور ، وتشد أزر الحزب الشيوعى وتمهد له السبيل لكى ينفرد بالحكم فى يوم ما وكل المظاهر تنبىء بقرب تحقق هذا . . !

والحزب الوطنى الاشتراكى ، وهو حزب الأغلبية يقف بالمرصاد وانصاره لا يملكون الا القيام بمظاهرات ضخمة منظمة سلمية تسير فى الشوارع الهامة فى العاصمة التشيكوسلافاكية لكى يثبتوا وجودهم وتمسكهم بالنظام الحالى وعدم رغبتهم فى السير إلى أبعد من هذا . .

ورئيس الجمهورية الدكتور بينيش وهو من أكفأ السياسيين فى أوربا وأقدرهم يحافظ على حياده بقدر الامكان فى وسط هذا التيار الجارف وقد أمكنه أن ينجح حتى اليوم فى حفظ التوازن بين الأحزاب كلها . .

ولكن ما الذى يحدث بعد أن يختفى عن الميدان . . أو عندما يشتد الضغط الشيوعى فى الداخل والخارج ؟ !

كانت احدى السيدات المشتغلات بالسياسة تحدثنى فى هذا فقالت والتأثر الحقيق باد على وجهها :

ـ اننى ، يا سيدى ، أدعو الله فى صلاتى كل ليلة ، أن يطيل حياة رئيس جمهوريتنا الدكتور بينيش ، لأننى أعرف مقدما جميع الحوادث التى قد تقع بعد ان يختفى عن الميدان لسبب من الأسباب . انه الرجل الوحيد الذى يقدر اليوم على انقاذ بلادنا وحفظ التوازن بين هذه الاحزاب والحد من مطامع الشيوعيين ورغباتهم الجامحة !

وأهل تشيكوسلوفاكيا يؤمنون بالله ايمانا قويا وهم من أشد اهل اوربا تمسكا بأهداب الدين وإذا كانت هذه السيدة قد ذكرت لى انها تدعو الله كل ليلة أن يطيل حياة رئيس الجمهورية فهى فى الواقع لم تكذب ولم تبالغ . .

حديث للرئيس بينيش

وقد سنحت لى فرصة التحدث إلى الدكتور بينيش إذ حدث لما دعى وفد مصر فى مؤتمر الصحافة الدولى إلى مقابلة جنابه فى قصر شيرنى أن تفضل جنابه فغمر أعضاء الوفد بعطفه وقال لهم :

« إننى أعرف بلادكم الجميلة ... وفيها الكثير من مواضع الشبه ببلادنا

« وهذه هى بلادنا ـ كما ترونها ـ فى طريقها إلى النهوض ... لقد صادفتنا بعض بعض العقبات حقا ولكننا فى طريقنا إلى إزالتها ويجب أن توجد العقبات فى طريق السياسى حتى يتمكن من إزالتها ويستحق أن يكون سياسياً »

وابتسم جنابه ثم قال : « وطبعاً لولا العقبات لما وجد السياسى ... »

وقد رددت على جنابه شاكراً له حفاوته ثم قلت له :

« وإذا كان ما تقولون حقا يا سعادة الرئيس من أنه لولا العقبات لما وجد السياسى فان من الواجب أن نقول أيضاً أنه ليس فى مقدرة كل سياسى أن يذلل العقبات ويزيلها من طريقه ... »

وابتسم الدكتور بينيش وقال : « إنها كثيراً ما تكون مسألة حظ ! »

مع وزير خارجية تشيكوسلوفاكيا

قابلت المسيو هانه مازاريك ، وزير الخارجية التشيكوسلوفاكية ، وهو زميل نمساوي ، وجرى بيننا حديث طويل ، تناول أشياء كثيرة

ومما يستحق التسجيل قول محدثي :

— لقد صرت دبلوماسيا .. بالصدفة !

وروى لنا قصة حياته وهي جديرة بالتسجيل .

ولما انتهى منها مرت على عينيه ابتسامة تدل على الذكاء وتوقد الذهن ثم قال:

— انني أعتقد انني (جنتلمان) أي رجل شريف .. أكثر مني سياسي !

وقال الزميل النمساوي مجيبا :

— على العموم ، يا سعادة الوزير ، يجب أن تكون (الجنتلمانية) جزءا من السياسة!

وهو ديبلوماسي من طراز ممتاز فريد في نوعه ... فجسمه جسم رجل رياضي ونظراته ثاقبة نافذة . . وأساليبه سهلة واضحة في المعاملة، كما انه غير مقتصد في الكلام . . .

كل هذا يجعله يختلف كثيراً عن ديبلوماسي المدرسة القديمة الذين كانوا يحاولون دائما التشبه بمترنيخ زعيم هذه المدرسة وهم الذين يلزمون الصمت أو يقتصدون في الكلمات والحركات ويتظاهرون بالثقل والرزانة وأعرف من بين سفرائنا في الخارج سفيراً يحب أن يتشبه دائما بمترنيخ، وهو يظن أن الديبلوماسية معناها اغلاق الفم وكتمان الأخبار كلها ... حتى ما لا يستحق الكتمان ! ولعله ليس في حاجة إلى مزيد من التعريف . .

ان وجهه كثير التعبير، متعدد الحركات ، وكلماته صريحة ، وأساليبه ومعاملاته مباشرة لا التواء فيها ، كما ان روح الدعابة والمرح تتغلب على أحاديثه الجدية ...

موسيقى ورياضى

ومازاريك اليوم فى الستين من عمره وقد مضى على اشتغاله بالسياسة نحو ٢٥ عاما ، ومع ذلك فلم يكن فى شبابه ولا فى ميوله الأولى ما يدل على أى اتجاه نحو هذا النوع من النشاط. إذ كان متجهاً بكليته نحو الموسيقى والهوكى وكرة القدم ...

ويظهر ان كرة القدم (الفوت بول) تحدد مرحلة هامة فى تاريخ كل سياسى تشيكوسلوفاكى فقد سمعت يوم زيارتنا لرئيس الجمهورية ، الدكتور بنيش، فى قصره ، إن سعادته كان فى شبابه من مهرة لاعبى الكرة وكان موقفه المعروف فى خط الدفاع يؤهله للعب فى المباريات الدولية ويضعه فى مصاف اللاعبين الدوليين .

كذلك ظل مازاريك محافظاً على ميوله الرياضية ، وهو مسرور اليوم لأنه سيتمكن من العودة إلى رياضة ركوب من الخيل كما كان يفعل قبل الحرب كما انه ظل مخلصا للموسيقى ، وهو على الرغم من مشاغله المتعددة كثيراً ما يسبح فى عوالم بيتهوفن وموزار كلما تمكن من الهرب من عمله ...

الصانع الصغير

إن ميوله الرياضية والموسيقية قد عاقته عن التعمق فى دراسة اللغة الانجليزية مع إنها كانت لغة أمة « شارلوت جاريج » الأمريكية التى كان والده : توماس مازاريك قد تزوجها بعد أن عرفها فى جامعة ليبزيج

قال لنا وهو يقص علينا قصته — بدلا من التحدث فى السياسة التى تسبب الصداع — كما يقول :

— « وبعد أن أتممت دراستى فى براغ غادرت وطنى إلى الولايات المتحدة وكنت غنيا بآمالى وأعوامى العشرين فقط ، ولذلك كان أول ما فكرت فيه بمجرد وصولى إلى هناك هو : كيف اكتسب رزقى ؟ وكانت أول عقبة صادفتنى هى عقبة اللغة إذ لم أكن أعرف حرفا فى اللغة الانجليزية . .

« وحاولت فى الشهور الأولى أن أتخصص فى صناعة التعدين ودخلت أحد المصانع حيث اشتغلت كعامل بسيط فى المسبك . وكان ذلك فى « بريد جبورت » أولا وأخيراً فى شيكاغو . .

ويظهر أن وزير الخارجية التشيكوسلوفاكية كان يقلد فى ذلك والده توماس مازاريك . فانه قبل انتخابه نائباً اشتغل فى حداثته سباكا وصانعا للاقفال

عصبة أمم

واستأنف الوزير حديثه فقال :

« وعندما دخلت المصنع كان فى نيتى أن أدرس صناعة التعدين ولكن ما تعلمته هناك كان الديبلوماسية ـ لا التعدين ـ فقد كان مسبك « بريد جبورت » عبارة عن عصبة أمم يؤمه العمال من جميع نواحى الأرض . كان فيه سلوفاك ومجر ورومان وروس وانجليز وأمريكان !

ولكى يخلق الانسان بين هؤلاء جميعاً جواً من الزمالة والصفاء والتعاون يجب أن يستعمل الكثير من الديبلوماسية فحاولت جهدى ذلك، كما أن العمل اليدوى راق لى على الرغم من الحوادث المتعددة التى تقع فى بادىء الأمر وعلى رغم من عدة حروق أصبت بها فى أثنائه »

أحرج موقف فى حياته

وعند ما نشبت الحرب الكبرى فى عام ١٩١٤ كان جان مازاريك فى براغ فجند وألحق كضابط فى فرقة من فرق النمسويين والمجريين الذين كانوا يحاربون مع ألمانيا .

وتطورت الحوادث فهرب والده مازاريك الكبير إلى إيطاليا وكانت لا تزال محايدة ومنها سافر إلى سويسرا ومنها إلى لندن حيث أسس مركزاً للمقاومة التشيكوسلوفاكية . وفى ١٤ نوفمبر من عام ١٩١٥ أعلن مركز المقاومة التشيكوسلوفاكية الحرب رسمياً ضد النمسا

وليتصور القارىء مركز جان مازاريك الضابط بالجيش النمساوى وابن عدو الملكية رقم ١

هنا أيضاً يضطر جان مازاريك إلى استعمال الدبلوماسية لكى يجد مخرجا من هذا المأزق الدقيق . وذكر لنا انه اتبع سياسة بسيطة جداً فى هذا فقد تظاهر بأنه لا يفهم شيئاً من كل ما يجرى حوله ، وأن لا صلة له بشىء مطلقا ، واتقى بكل خفة تلك المكائد التى حاول رجال البوليس السرى النمسوى نسجها من حوله .

ابن الدولة المحبوب

وبعد انتصار الحلفاء فى الحرب ، وعودة مازاريك الكبير الظافرة إلى براغ ، وفى نشوة الفوز ، تبين مؤسسو الدولة الحديثة انها فى حاجة إلى سياسيين مهرة .

وهنا يقول جان مازاريك :

— وفى تلك اللحظة فقط فوجئت باختيارى للمناصب الدبلوماسية . إن منصب الدبلوماسية لم يكن منالى فى يوم من الأيام . ولكن ماذا تريدون ؟ هكذا أرادوا ! فقد لاحظوا على انى رجل أحلق ذقنى كل يوم وأساليب معاملتى مقبولة . كما أننى كنت أتحدث عدة لغات . لذلك لم يكن هناك مفر من اختيارى !

وما لم يقله المسيو مازاريك — تواضعا منه — هو أنه كان قد كلف باداء عدة مهام سياسية بين واشنجتون ولندن فنجح فى أدائها كلها وقام بالسفارة لبلاده خير قيام ... وانهم لهذا اختاروه لمنصب وزير الخارجية !

السوكول

إذا زرت براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا ، فلا بد أن تزور منظمات السوكول فى ناديها بنزل تيرز

والسوكول معناها باللغة التشكيه « الصقر » ... وقد أستعير اسم هذا الطائر الذى يرمز للقوة لكى يطلق على تلك المؤسسات الرياضية التى انتشرت فى كل أنحاء تشيكوسلوفاكيا ، بل وتعدتها إلى الدول الأخرى السلافية القريبة من هذه الدولة ..

وترمى حركة السوكول إلى تنمية الجسم والروح فى الشعب التشيكوسلوفاكى وقد بدأت فى القرن الماضى بعد مرحلة طويلة من مراحل الكفاح التى مر بهـــا التشيك والسلوفاك ...

وقد أسس هذه الحركة اثنان هما : تيرز وفوجنر ، وحددا الغرض من حركة السوكول بأنه « تعليم وتدريب الأمة إلى أقصى درجات الكمال الجسمى والخلقى ، على الاستمتاع بالحرية ومساعدتها على النمو وتطبيق ذلك فى طابعها الوطنى »

وتقوم الحركة على التربية الجسمية والألعاب الرياضية . وقد أثرت فكرة السوكول وما قاموا به على جميع طبقات الشعب التشيكوسلوفاكى وامتدت منهم إلى الشعوب السلافية الأخرى .

والسوكول مؤسسة ديمقراطية تقوم على التطوع ، وقد فتحت أبوابها للشعوب السلافية الأخرى ، وهى تقبل فى عضويتها الفتيان والفتيات دون تمييز بين الدين أو الآراء السياسية

وتضم هذه المنظمات أكثر من ٨١٨ ألف عضو فى تشيكوسلوفاكيا كلها ولكل منظمة منها ناد يتردد عليه الأعضاء ، من رجال ونساء ، للتمرن على الحركات الرياضية . وقد نجحت الحركة نجاحاً كبيراً وكان من أثرها أن أنشأت جيلا جديداً من الشبان والشابات ...

تشيكوسلوفاكيات من أعضاء (السوكول) وهن ذاهبات الى الملعب للتمرين

إن منظمات السوكول تقبل فى عضويتها الرجال والنساء من جميع الأعمار وجميع الطبقات وهى تضم الفلاحين والعمال والطلبة . ولا تفرق بين الأغنياء والفقراء ... وقد رأيت فى يوم الاستعراض الرياضى الذى أقيم لتكريمنا فى نادى السوكول ببراغ رجلا مسنا ابيض شـــعره ولا يقل عمره عن ٧٠ عاما ... وكان مع ذلك يقوم ببعض الحركات الرياضية إلى جانب الشبان بنشاط يثير الاعجاب ...

وقد بدأت حركة السوكول فى عام ١٨٨٣ ، وقامت بنصيب كبير فى مقاومة الغزو الألمانى مدة الحرب حتى اضطر الألمان إلى الغاء أنديتها واغلاقها فى عام ١٩٤٠. ولم تفتح أبوابها ثانية إلا عند ما انتهت الحرب. وعاد أعضاؤها اليوم إلى التردد على أنديتهم بمعدل ساعتين على الأقل فى يومين من أيام الأسبوع . وتحتفل «السوكول» بعيدها كل ستة أعوام . وأقيم آخر احتفال فى عام ١٩٣٦ - ولكن لم يتم الاحتفال التالى الذى كان محدداً له ١٩٤٢ وذلك بسبب الاحتلال الألمانى للبلاد

وتستعد تشيكوسلوفاكيا للاحتفال بعيد السوكول فى عام ١٩٤٨ احتفالا كبيراً

جولة فى سلوفاكيا

إلى جبال التترا

كانت الجلسة الأخيرة التى عقدها مؤتمر الصحافة فى براغ جلسة خاصة وقد دامت إلى الساعة الخامسة صباحا . . ولم يكن فى إمكان الرئيس أن يؤجلها للغد إذ كان المؤتمر مقيداً ببرنامج الرحلات الذى أعدته الحكومة التشيكوسلوفاكية للاعضاء وهو يبدأ من صباح اليوم التالى . ولذلك ظلت الجلسة مستمرة حتى يبت فى جميع المسائل الهامة التى بحثها المؤتمر وفى مقدمتها مسألة حرية الصحافة والوسائل الكفيلة بتحقيقها .

ومع أن الجلسة انتهت فى الساعة الخامسة صباحا فقد كان علينا أن نكون فى محطة مازاريك ببراغ فى تمام الساعة السابعة لكى نستقل القطار إلى مدينة براتيسلافا عاصمة سلوفاكيا .

وأمكن لبعضنا أن يذهب إلى المحطة فى الموعد المحدد ، ولكن البعض الآخر تأخر عن الموعد . وظل القطار الخاص الذى نقلنا إلى براتيسلافا ينتظر حتى حضر الجميع . وقد بلغ عددهم نحو ٨٠ صحفياً عالمياً صحب البعض منهم زوجاتهم .

ووصلنا إلى براتيسلافا بعد الظهر بقليل ووجدنا ولاة الأمور فى استقبالنا بالمحطة وألقى محافظ المدينة كلمة ترحيب ترجمت إلى اللغة الانجليزية ، ورد عليها بالنيابة عن الصحفيين ، رئيس الوفد البولونى . ثم دعينا إلى حفلة غداء رسمية فى فندق كارلتون ، أفخم فنادق المدينة ، وهناك أيضاً تبودلت الخطب الرسمية .

والحق أن القوم هناك كانوا يرحبون بنا ترحيباً قلبياً صادقاً كانت آثاره ظاهرة على وجوههم . وبعد الغذاء دعينا لركوب السيارات الكبيرة فملأنا أربع سيارات أخذت تتجول بنا فى أنحاء المدينة . وانتهى بنا المطاف أخيراً إلى ملعب الكرة

فى العاصمة السلوفاكية حيث دعينا إلى مشاهدة مباراة بين فريق من صحفى براغ وآخر من صحفي براتيسلافا

ومررنا بمعالم المدينة الهامة وحصونها القديمة تحت وابل من المطر . وهى من أكبر المدن فى أوروبا الوسطى

إلى بيشتنى

وحوالى الساعة السابعة والنصف غادرنا براتيسلافا إلى مدينة « بيشتنى » وهى إحدى مدن المياه المعدنية الكبيرة فى هذا الاقليم ، وتشتهر بعلاج الروماتيزم ، وأهم مميزاتها ان مياهها تخرج من باطن الأرض ساخنة

ووصلنا إلى بيشتنى فى الساعة العاشرة مساء فتناولنا العشاء فى إفندق « ترما » وهو الملحق بحمامات المياه المعدنية . . ثم قضينا الليل فى فندق رويال . .

وفى صباح اليوم التالى ، وكان يوم الأحد زرنا الحمامات ثم تناولنا الغداء وبعد ذلك ركبنا توآ إلى سيلاك .

وهذه المدينة ، على الرغم من صغرها ، من أجمل المدن وأشهرها فى ذلك الاقليم

فى سيلاك

وهذه مدينة أخرى من مدن المياه وتمتاز بوقوعها فى مكان مرتفع وقد اشتهرت بعلاج أمراض النساء والأمراض العصبية وأمراض القلب ، ولعلها من أجمل مدن المياه المعدنية فى العالم .

وصلناها فى الساعة السابعة مساء فقيل لنا بعد هذا السفر الشاق أن علينا أن نستعد فى نصف ساعة فقط إذ أن مفاجأة خطيرة تنتظرنا ! وأسرعنا فاغتسلنا واستبدلنا ملابسنا ثم اجتمعنا فى الموعد المحدد فى بهو فندق بالاس الذى نزلنا به .

وسرنا فى طريقنا إلى الغابة القريبة من الفندق ، ولما وصلنا وجدناها مفاجأة حقاً . ولكنها كانت مفاجأة سارة

وجدنا القوم قد أعدوا موائد ومقاعد خشبية فى قلب الغابة ، ووجدناهم قد اختاروا لخدمتنا أجمل نساء وفتيات الجهة ، وقد ارتدين جميعاً ملابسهن الوطنية وهى تمتاز بكثرة ما فيها من الألوان البراقة وزخرف التطريز . وتهافتت الفتيات وتنافسن فى خدمتنا فقدمن أولا قطع (السندوتش) التى تمتاز بكثرة ما عليها من اللحم وإلى جانبه الجبن والزبد والخيار (المخلل) كما قدمن لنا الشراب القومى السلوفاكى واسمه (السليفوفتسى) وهو يصنع من عصير البرقوق ويمتاز بقوته الفائقة وطعمه اللذيذ ورائحته الذكية

ولم تكن هذه هى المفاجأة كلها . . بل لم يكن هذا إلا (الاورديفر) أو مفتتحات الشهية فقد رأينا عدداً من الفتيات واقفات فى صفوف منظمة ، وقد أمسكت كل واحدة منهن بعصاً طويلة تدير بها اللحم الذى أعد للشى على نار ضعيفة هى نار الخشب الذى قطع من أشجار الغابة . وكان منظر الفتيات وهن يقلبن اللحم على النار بملابسهن القومية منظراً بديعاً .

وما خرج اللحم من النار وبدأن بتوزيعه حتى هجم عليه القوم هجوم المتوحشين على اللحم الأبيض !

وظهرت بعد ذلك زجاجات البيرة ، والنبيذ الأبيض والأحمر ، وجرت الخمر أنهاراً . كما أديرت أطباق الحلوى وكان فى وسع المرء وهو فى الغابة أن يطلب ما يشاء وبأى قدر يشاء .

ولم تكن هذه هى المفاجأة كلها !

ان المفاجأة الحقيقية بدأت عند ما ظهرت فتيات فرقة الراقصات (الباليت) اللاتى استقدمن من براغ خصيصاً وبدأن فى الرقص مع فرقة موسيقى خاصة نقلت إلى الغابة مع آلاتها المختلفة . ! وقد رقصت الفرقة عدة رقصات تقليدية من رقصات الاقليم ، وكن ـ أيضاً ـ يرتدين الملابس القومية السلوفاكية ! !

ولكن كانت هناك مفاجأة أخرى تنتظرنا . . فقد تغير الجو فجأة وأخذت السماء تمطر علينا . . ومع ذلك فقد استمر الأكل واستمر الرقص تحت وابل المطر !

وانتقلنا بعـــد ذلك إلى الفندق حيث استأنفت الفرقة رقصها واستأنف الصحفيون العالميون حفلهم !

إلى جبال تترا

وعلى الرغم مما أعلن من أن السفر سيكون فى منتصف الساعة الثامنة من اليوم التالى إلا أن أحداً لم يستيقظ قبل التاسعة وأسرعت بنا السيارات فى طريقها إلى جبال تترا التى يفخر بها السلوفاكيون ويقولون عنها أنها « الب تشيكوسلوفاكيا »

ووصلنا إلى مدينة « ستارى سمو كوفتز » وهى على سفح التترا . . وكان البرد شديداً ، كما أن الماء الذى يجرى فى الحجرات كان مثلجاً لا يمكن لأحد أن يغتسل به .

وفى المساء صعدنا بواسطة القطار المعلق (الفينكلير) إلى إحدى قمم هذه الجبال . وكانت الرحلة بهذا القطار المعلق فوق أشجار الصنوبر العالية من أمتع الرحلات

رحلة العودة

وفى صباح اليوم التالى بدأنا رحلة العودة بالسيارات . . ومررنا فى طريقنا بمغاور ديمنوفا . . وهى مغاور اكتشفت حديثاً وتظهر فيها آثار المياه الباطنية وفعلها فى الصخور ، وهى ذات مناظر بديعة جداً منها ما يشبه الأهرام ، ومنها ما يشبه المقابر ، والمساجد ، والمآذن ، وقد سرنا فى قلبها ما يزيد على خمسة كيلو مترات على ضوء الكهرباء الضعيف

ومنها عدنا إلى « ترانشيسكى تبليس » ومنها ركبنا القطار إلى براغ فوصلناها فى صباح اليوم التالى